اتفاق مكة واحتمالات أخرى

سعدالله خليل

وأخيرا تغلبت الحكمة على الحماقة، ونأمل ان يكون ذلك هدفا وقناعة، لا تكتيكا، لكسب الوقت والتقاط الأنفاس. وأن يدرك كل طرف من أطراف الحرب الأهلية الفلسطينية، بعد هذه المعارك العبثية المدمرة، أن مصلحته ومصلحة قادته وحزبه، تكمن في نهوض الوطن من حفرته، وصون دماء شبابه، وتوفير الطعام والأمن والأمان لشعبه، وتوحيد كل الجهود والطاقات لبناء البلاد. فالحاضر يرسم المستقبل، والتاريخ لن يرحم العابثين بحياة البلاد والعباد، ولم يعد بالامكان تزييفه، فالناس شهود على ما يجري، وذاكرتهم قوية.

لقد فرق بين الأشقاء والأصدقاء في الأسرة الواحدة، والحي الواحد، والمدينة الواحدة، شعارات ادعاءات، وُظفت في خدمة مصالح القادة ومساندِيهم، فكل يدعي خدمة الله والشعب والوطن. والحقيقة أن أكثرهم يجري خلف المال والسلطة والأطماع الشخصية.

لقد «اعترف حماس أخيرا بالاتفاقات الموقعة مع إسرائيل، أملا بفك الحصار عن هذا الشعب المغلوب، وإعادة تدفق المساعدات العربية والغربية والأمريكية، لسد حاجاته، وتأمين لقمة عيشه. وتأمل أيضا أن لا يكون هذا الاتفاق حبرا على ورق، وأن يوضع موضع التطبيق، ويلتزم به الموقعون عليه، وأن لا يكون قد وُقع خجلا من وجود عاهل السعودية الملك عبد الله، أو لرفع العتب الفلسطيني والعربي، وذر الرماد في عيون الناس. كي لا يكون مصيره مصير الاتفاقات السابقة التي فشلت جميعها بُعيد توقيعها، بل حُرقت عن عمد، ونوايا مسبقة، قبل أن يجف حبرها. لأن طبيعة العربي ونزعته في السيادة والتفرد، تأبى أن يشاركه أحد في الكلأ والمرعى والماء، وربما أيضا حُرقت لأسباب أخرى. فما أسهل أن يختلق المتخاصمون المبررات، ويحملون بعضهم بعضا مسؤولية الخرق، فتلك لعبتنا التقليدية.

ومما يدعو إلى التفاؤل أن الاتفاق أُبرم في مكة المكرمة، ويكفي اسمها ليعطي الاتفاق قدسية. وبإشراف ودعم وطني وشخصي من السعودية وعاهلها الملك عبد الله، الذي لا شك سيستخدم كل ما يتوفر له من إمكانات لإنجاحه. ففشل الاتفاق سيجر الويلات على الفلسطينيين في الوطن والشتات، وينعكس سلبا على البلدان العربية، ويتيح لإسرائيل الحرية الكاملة بالقضم، والضم، وكسب التأييد العالمي، ورفض المفاوضات. ويرتب على الطرف الذي أفشله مسؤوليات شخصية جسيمة، عدا عن تعكير صفو علاقاته مع السعودية التي لا أظن أحدا من الفلسطينيين يرغب في إغضابها.

كما نأمل أن يكون هذا الاتفاق مقدمة لتنقية الأجواء بين الرياض ودمشق قبيل انعقاد مؤتمر القمة في السعودية، ومصالحة أخرى مع إيران- فما كان لحماس أن تتنازل عن قسم هام من سلطتها، وتبت أمرا كهذا، لولا دعمها وتشجيعها - وأن يمهد الطريق لمصالحة ضرورية بين الأطراف المتنازعة في كل من لبنان المرمي على حافة الهاوية، تتربص به حرب أهلية سنية شيعية. والعراق الساقط فيها، والخارق حتى قمة رأسه، في حرب دموية دينية مذهبية، ستفتته أشلاء عدة.

إن الأوراق التي يملكها اللاعبون الأساسيون، المحركون والمساندون لهذا الفريق أو ذاك، هنا أو هناك، والتي قد تكون الآن رابحة، ستتحول بين أيديهم إلى أوراق مدمرة خاسرة، ترتد على الجميع وبالا، دون هذه المصالحة. فمن مصلحة جميع الأطراف العربية والإقليمية، أن تسعى إلى تبديد الغيوم، وتنقية الأجواء فيما بينها. وعلى إيران التي تتقن فن السياسية، وتقف شبه منفردة في مواجهة الأقوياء، بسبب سعيها لامتلاك تكنولوجيا نووية، إزالة المخاوف، وطمأنة دول الخليج ومصر والسعودية، ودول المنطقة السنية.

إن يوادر حرب إسرائيلية على لبنان تلوح في الأفق، وأظنها قريبة. وأمريكا (بوش) كما تدل تحركاتها السياسية في المنطقة والعالم، والمالية في الكونغرس، والعسكرية في العراق، مدعومة من بريطانيا، ودول أخرى، تبدت أمرا تستتر فيه هيبتها وكرامتها التي سقطت في عيون شعبها وأصدقائها وأعدائها على السواء. وبدون هذه المصالحة سيكون الأمر صعبا إلى أبعد الحدود.

بالاتفاق مع ايلاف

أوراق يومية

أحمد كمال

الحرامية

عرف مجتمعنا وكل مجتمعات العالم حتى في البلاد المتخلفة، والبلاد المتقشفة فيها الجريمة بكل أنواعها والبلاد المتقدمة.

عرف السرقات وحجم هذه السرقات ولكن كل ذلك لم يصل الى الحد الذي وصلت اليه سرقات الادارة الامريكية والعراقية في العراق المحتل من قبل الولايات المتحدة الامريكية ذلك البلد المنكوب، الذي شحنت اليه وزارة المالية الامريكية من أمواله المجمدة منذ عهد صدام حسين وعهد الحصار الظالم على العراق ومصادرته دخل النفط اموالاً بالوزن بلغت الشحنة في احدى المرات ثلاثمائة وثلاثة وستين طناً (363) شحنت على متن طائرة عسكرية من واشنطن الى بغداد.

هذا ما اظهرته مناقشات الكونجرس الامريكي مؤخراً مع أول حاكم امريكي للعراق وهو بول بريمر. التي ارسلت في عدة دفعات وفي صناديق ضمت هذه الاطنان. وبلغت في مرة واحدة اربعة مليارات، تبعتها عدة مرات حتى وصلت الى اثني عشر مليار دولارا وزعها الحاكم الكريم كما يدعي بمعرفته للحكومة وغير الحكومة وخصص بعضها لاعادة البناء اي لاعمار ما هدمته حرب الاحتلال.

هذه المليارات اختفت من الميزانية وضاعت اوجه صرفها، أين ذهبت؟ ومن استلمها؟ وكيف تبخرت؟

يقول بريمر انه يمكن ان هناك اسماء وهمية تضمنتها بعض قوائم الحكومة وهذه الاسماء الوهمية ربما تمثل عصابات وقوات مقاومة وتجار سلاح لاستعمالات المقاومة.

لم يقم اي بناء ولم يستفد شعب العراق من امواله المسروقة اساساً من الخزينة الامريكية رغم ما يعانيه شعب العراق من فقر مدقع وعيش زهيد بالاضافة الى القتل بالجملة وعلى الهوية.

وهذا بالطبع من سيئات الاحتلال الامريكي الذي يدعي رئيسه ان ما يقوم به هو مكافحة الارهاب وحماية الولايات المتحدة من هذا الارهاب.

الحرامية في العراق، الذي يعيش ضمن فوضى لا أول لها ولا آخر، كثيرون في القيادة الامريكية والقيادة العراقية بالاضافة الى المليشيات العراقية والاجنبية والمجرمين الذين يختطفون اما للحصول على فدية أو قتل الرهينة المختطفة. وقد ذهب ضحية ذلك عشرات الآلاف من المواطنين العراقيين المسالمين الذين ينطبق عليهم المثل (اذا لم تكن ذئباً اكلتك الذئاب).

والوضع في ظل الاحتلال يسير من سيئ الى اسوأ وغير قابل للحل في المستقبل المنظور الا بخروج المحتلين والمتدخلين من الامريكيين واتباعهم ومن الايرانيين الذين وجدوا داخل العراق فرصة لمواجهة امريكا ومواجهة اعوانها واستغلال العراقيين.

مؤتمر الدوحة.. صراع المذاهب أم الطوائف؟!

بدر عبدالملك

انفض السامر من الدوحة في مؤتمر التقريب بين المذاهب، بعد ان استطاعت قناة الجزيرة وضع المؤتمرين امام اعين المشاهدين ليروا بأم اعينهم كم كانت الحالة بائسة والمداخلات تشوبها روح التوتر والتشنج وكأنما المتحاورين اخوة اعداء يتقاتلون في الساحات العامة بالرشاشات نيابة عن واقع سياسي يدور في بلدان عربية كانت من صلب معاناتهم واشكاليتهم الفعلية، فكان المشهد مسرحا حقيقيا ازاح القناع في مؤتمر كان ينبغي ان يعالج بعمق ازمة الاختلافات المذهبية واهمية التقارب بينها.

حيث لم يوفق المؤتمر في احتواء صلب المشكلة وما حولها من تداعيات ثانوية وهامشية، بل وبدا شعار وعنوان المؤتمر نفسه يدعو المتساءلين الى طرح سؤال جوهري، التقريب بين المذاهب في ماذا؟ فقد اختلط دور المتحاورين فتاهوا بين الديني والسياسي، فليس مهمة رجال الدين التقريب بين المذاهب في موضوع سياسي كالنزاعات الدموية بروح تخلو من التسامح المحسوس والباطني، فقد كان عنوان المؤتمر يناسب متحاورين من رجال الدين في الشأن الديني حول مسائل خلافية نعرفها بين المذاهب، فقد كان اجدى الحوار بين رجال الدين مناقشة التقريب بين المذاهب في قضية الاحوال الشخصية، ففي تلك الحالة نفهم وظيفة المتحاورين وموضوع التقريب والبحث عن صيغة وسطية وواقعية تناسب متغيرات العصر وتهم قضية المرأة كنصف المجتمع.

كدنا نتوقع ان يتم مناقشة قضايا فقهية واجتهادية تفتح ابوابا مغلقة ومحافظة بين رجال دين تقليديين حضرنا ونيتهم مبيتة مسبقا ان الحوار يرتكز على مسألة كابوس يؤرق السنة اسمه الخوف من التشيع في العالم السني، ومن سمع قصص ومداخلات عجيبة يلمس روحا يشوبها «فوبيا التشيع» الذي وصفه بعضهم بعبارات «التبشير الشيعي» فشعرنا ان النقاش يتمحور عند البعض ببعدين سياسي وعقائدي، الاول يركز همه وهمومه على محاربة ما يسمى بالهلال الشيعي، وهو مصطلح تم اطلاقه كالقرد الصناعي في الفضاء السني إلى درجة الانفلات والمبالغة، بينما ظلت المسألة العقائدية تتلخص في الغزو الثقافي الشيعي التي استغرب من مبالغة وخشية الاخوة في السودان، لماذا يبيع الايرانيون كتبا شيعية في معرض الكتاب في بلد يعرفون انه بلدا سنيا!! اليس هذا معيب ان نطرح تلك المخاوف والريبة والتشكيك في مذهب مهم في عالمنا الاسلامي ويمثل نسبة كبيرة من السكان؟

والادهى ان المؤتمرين يناقشون مسألة التقريب بين المذاهب في وقت يسكن الناس هاجسا لعرض كتاب من الطبيعي المشاركون فيه أن يعرضوا كتبا تتداول في بلادهم، وبدلا من نقد الايرانيين بانهم في مشاركتهم لمعارض الكتاب لا يعرضون كتبا سنية تمثل قطاعا سنيا في بلادهم فهذا يدلل على روح احترام حقوق الاقليات في بلد تسيطر عليه الاكثرية المذهبية، هذا ما كان ينبغي نقده وليس التشكيك بان المشاركين في المعرض جاءوا بكتبهم المتشيعة في المعرض.

هذا النمط من التفكير لا يمكنه ان يكون جسرا لبناء الثقة بين المذاهب. لقد غاب عن المؤتمر التركيز على عنوان فعلي وهو الانسب من عنوان التقريب بتمحور في «اشكالية الديني والسياسي بين الطوائف» حيث ان المذاهب جزء من الطوائف كما ان الطوائف مفهوم أوسع واشمل يتضمن كل ما يتعلق بالطائفة من توجهات ومكونات ثقافية وسياسية ودينية ومجتمعية، ففي داخل الطائفة نتعرف على التكوين التاريخي للظاهرة ونتائج تلك الاختلافات النابعة من واقع سياسي مأزوم، واستخدام وتوظيف الدين في الصراع السياسي وتداخل تلك المسألتين في الحياة السياسية والحقوقية للطوائف، فلا يوجد اقتتال دموي وصدامات عنيفة وحروب ضارية لمجرد ان المذاهب في حالة اختلاف فقهي او اجتهاد في تلك الحالة او غيرها، وانما الصراع المتمظهر دينيا يعبر عن ظاهرة سياسية وحقوقية للطائفة هذه او تلك، ولسنا بحاجة لعرض التاريخ الاسلامي العريض والطويل وكيف جاءت للسلطة انظمة يحكمها الشيعة كالعباسيين والفاطميين، وكيف انتهت بالدولة العثمانية بعد ان كانت الدولة الاموية بشقيها الشامي والاندلسي تعبيرا عن المذهب السني.

ثم توالت العصور بتواجد طوائف داخل السلطة وخارجها، ونبعت حركات متمردة ومعارضة للانظمة انتهت في عصرنا والدولة الحديثة بهذه الروح والصيغة والشكل الذي امامنا، فايران المعاصرة كانت شيعية زمن الشاه ولم تؤرق الانظمة والمذاهب السنية وكان الشاه صديقا سياسيا وحليفا في الظاهر والخفي للمصالح العالية، وهو ما جعل القارب السياسي في الشرق الاوسط هادئا لا رحلته الموسمية، فقد كان شرطي الشرق الأوسط حارسا مهما للمنطقة دون الالتفات للمشروع المذهبي المخيف، بينما كانت ضفاف العالم السني هادئة لا يشوبها قلق من «التبشير الشيعي»!

ولكن مع انطلاق الثورة الايرانية تبدلت الابعاد الايديولوجية لبعض التيارات المتشددة في اجنحة الثورة رأت ان مشروعها السياسي اولا هو الاستنفار الثوري خارج ايران ونقل وتصدير الثورة ونموذجها في العالم الاسلامي، ومن الطبيعي ان يكون النموذج موضوعيا يحمل طروحات وتعبيرات شيعية، إذ لا يمكننا هنا فصل السياسي عن الديني، فالمشروع نتاج عن ثورة دينية وليس ليبرالية او يسارية، وقد وجدت الثورة كمركز حيوي للطائفة والمضطهدين «حماس السني» وغيره من حركات التحرر الوطني بملابسها القومية واردیتها العلمانية فتلتقي مع الثورة في خندق المواجهة ازاء عدو مشترك هو الشيطان الاعظم، لهذا لا نستغرب تعاون تيار التشدد مع تنظيم القاعدة في مرحلة من مراحل الازمة الافغانية وما بعد 11 سبتمبر.

بعد اكثر من نصف قرن من مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية في العاصمة القاهرة سنة 1947 بريادة الشيخ محمود شلتوت، وقد كان فعلا عنوان المؤتمر منسجما مع موضوعه الرئيسي والاساسي وقد تعرضت فكرة التقريب الى مصاعب وتحديات، في زمن لم تكن المذاهب الاسلامية تتطاحن في بلدانها وتتقاتل على السلطة وانما تفتش بالحوار والحكمة عن مخارج لأزمة فقهية ودينية تواجه المسلمين قاطبة. ومن المعيب ان نأتي بعد هذه الفترة لنسمع قصصا بديهية مهينة للعقل العربي والاسلامي حول حكايات يمارسها بعض الاشخاص الحمقى والمتهورين كمواصلة شتمهم للصحابة وزوجة الرسول وغيرها من الامثلة المبتذلة التي ليس لها علاقة بصلب المؤتمر، حيث كان الهدف طرح رؤية جديدة للصراعات المذهبية الطائفية في دول عربية ومن ابرزها العراق، «وهو بيت القصيد».

اختلط دور المتحاورين فتاهوا بين الديني والسياسي

فهل فعلا التجاذبات والصراعات والقتل على الهوية في العراق هو مسألة مذهبية وخلاف مذهبي؟! ام لكون المختلفون يمثلون طوائف تبحث عن مكان تحت السلطة وبين اروقتها وتحقيق توازن لواقع جديد تنوي تكريسه سياسيا بعد ان عانت من الاجحاف والظلم والتهميش في زمن صدام، فانفلت زمام السيطرة على السياسي وتم الشحن العاطفي المذهبي؟ فهو الاسهل للتجييش والمواجهة والتخندق، والاقرب الى عاطفة الغوغاء والعامة الذين اختلط لديهم السياسي بالديني ولم يتمكنوا الفرز بين الظاهرة والتمظهر للجانبين وبين المذهب والطائفة فلا يمكن عزلها في زمن الصراعات المحتدمة، وباتت مواجهة النظام البعثي المدني جزءا متداخلا فيه السياسي بالديني، وبعثت الكراهية كراهية مضادة لدى القاعدة المجتمعية ونسيجها الاجتماعي في العراق وتم استثماره بصورة مصلحية رجال الدين المعنيين بفكرة الاسلام السياسي يشاطرهم شخصيات «افندية» ببدلاتهم يطلقون لحاهم او من دونها في زمن التحالفات مع الاقوى.

فهي طريق اسهل للسلطة فانخرط الجميع في لعبة التقاتل وبدأ سقوط الضحايا من الطائفتين، وانتعشت كل الاشكال والشعارات التاريخية الرخيصة، لهذا نرى ان التجاذبات والتقاربات هي في معالجة المشكلة عبر بناء مجتمع مدني يمنح الطوائف جميعها حقوقا متساوية دون الاتكاء على منظور الاقلية والاغلبية وانما الاتكاء على حقوق المواطنة، وهي حق دستوري في دولة دستورية مدنية فالدين لله والوطن للجميع.